التعددية في باكستان وفق المنظور الإسلامي

محمد هلال علي عجور

الباحث بوزارة الأوقاف المصرية

من ٣٠٣ إلى ٣٥٢

Pluralism In Pakistan According To The Islamic perspective

Mohammed Helal Aly Agour
The Researcher at the Egyptian Ministry of Awqaf [Endowments]

التعددية في باكستان وفق المنظور الإسلامي

محمد هلال علي عجور
الباحث بوزارة الأوقاف المصرية
البريد الإلكتروني"moh610610@gmail.com:

الملخص:
تتناول هذه الدراسة الحالة الدينية في باكستان المتنوعة والمتعددة كلها ترفع راية الإسلام في دولة انفصلت عن الهند من أجل الإسلام هنا لابد من تساؤل لهذا الكم الهائل من الجماعات والحركات الدينية في صفوف الإسلام السني والشيعي، وغير المسلمين كذلك ماذا قدم هذا التنوع لباكستان؟ وهل له أثر واضح في إصلاح المجتمع؟ جارتها الهند التي انفصلت عنها وفيها ذات التنوع الديني وربما أكثر، وهي الدولة العلمانية سبقت باكستان بمراحل على كافة المستويات، بينما باكستان ما زالت في حالة اضطراب اجتماعي، وفقر اقتصادي، لم يقدم خلالها هذا التنوع الهائل شيئًا ينتشل باكستان من عوزها وفقرها الاقتصادي ولا اضطرابها الاجتماعي من تناحر ورفض للآخر.
ونجد في باكستان أيضًا خليطًا من الأفكار والاتجاهات السياسية المتباينة منها المعتدل والمتطرف، والمتدين، والمتصوف، فنجد الأحزاب العلمانية، والقومية والشيوعية، والاشتراكية، بجانب الجماعات الإسلامية والتي منها المعتدل ومنها المتشدد وتحمل في طياتها أنماط السلفية، والصوفية، والتوفيقية ويمكن القول إن الأحزاب والتيارات المتعددة في باكستان وافقها منذ نشأتها صراع سياسي بين اتجاهين رئيسين:
الأول: كان التيار الليبرالي الذي تأثر أتباعه بالفكر الغربي بقيادة المؤسس محمد علي جناح الذي اعتقد أن بإمكانه إقامة دولة إسلامية حديثة على أساس الإسلام والديمقراطية.
الثاني: تيار علماء الدين التقليديون وفي مقدمتهم أبو الأعلى المودودي وكان اتجاه هذا التيار يميل إلى المدرسة السلفية.
الكلمات المفتاحية: التعددية ، باكستان ، المنظور، الإسلامي

Pluralism In Pakistan According To The Islamic Perspective

Mohammed Hilal Ali Ajour
Researcher at the Egyptian Ministry of Endowments
Email : moh610610@gmail.com

abstract:

This study deals with the diverse and diverse religious situation in Pakistan, all of which raise the flag of Islam in a country that has seceded from India for Islam here, it is necessary to question the large number of religious groups and movements among Sunni and Shiite Islam, and non-Muslims, as well as what has this diversity provided to Pakistan? Does it have a clear impact on the reform of society? Its neighbour, India, which has been separated from it and with religious diversity and perhaps even more, is a secular State that has gradually preceded Pakistan at all levels, while Pakistan is still in a state of social unrest and economic poverty, during which this enormous diversity has offered nothing to lift Pakistan out of its destitution, economic poverty, or social unrest from conflict and rejection of the other.

In Pakistan, there is also a mixture of different political ideas and trends, including moderate and extremist, religious and mystic parties, secular parties, nationalism, communism and socialism, along side Islamist groups, including moderate and hardline ones, with salafist, Sufi and conciliatory patterns, and it can be said that since its inception, the various parties and currents in Pakistan have been approved by a political conflict between two main directions:

The first :was the liberal movement whose followers were influenced by Western thought led by the founder Muhammad Ali Jinnah, who believed that he could establish a modern Islamic state based on Islam and democracy.

Second: The current of traditional religious scholars, led by Abu al-Aly al-Mudoudi, and the trend of this current tended to the Salafist school.

Keywords: Pluralism, Pakistan, Perspective, Islamic

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد :

الحالة الدينية في باكستان المتنوعة والمتعددة كلها ترفع راية الإسلام في دولة انفصلت عن الهند من أجل الإسلام هنا لابد من تساؤل لهذا الكم الهائل من الجماعات والحركات الدينية في صفوف الإسلام السني والشيعي، وغير المسلمين كذلك ماذا قدم هذا التنوع لباكستان؟ وهل له أثر واضح في إصلاح المجتمع؟ جارتها الهند التي انفصلت عنها وفيها ذات التنوع الديني وربما أكثر، وهي الدولة العلمانية سبقت باكستان بمراحل على كافة المستويات، بينما باكستان ما زالت في حالة اضطراب اجتماعي، وفقر اقتصادي، لم يقدم خلالها هذا التنوع الهائل شيئًا ينتشل باكستان من عوزها وفقرها الاقتصادي ولا اضطرابها الاجتماعي من تناحر ورفض للآخر.

– الإسلام الذي يرفع هذا التنوع رايته ، رسالته الأساسية وعنوانها الإصلاح فهو فريضة شرعية وضرورية بشرية، لا سيما في الظروف التي تحياها باكستان، ووسط هذه الرايات المرفوعة باسم الدين، لذلك على الجميع أن ينهض ويتفرغ لرسالة الإسلام الإصلاحية؛ لأن من العار أن يكون هذا التنوع والتعددية الفكرية في باكستان عالة عليها، ومصدرًا من مصادر القلق والضغوط الداخلية والخارجية دون أن يقدم شيئًا إلا إثارة القنين والقلق في البلاد.تعد باكستان من الدول الإسلامية التي تزخر بتنوع وتعددية لغوية ودينية وفكرية وثقافية، فيتكلم مواطنوها العديد من اللغات منها اللغة البنجابية وهي الأكثر شيوعًا واستخدامًا، إضافة إلى اللغة السندية والأردية وغيرها، أما معتقداتهم الدينية فيمثل المسلمون ما يقرب من نسبة ٩٧% من مجموع ديانات السكان، وكل الأقليات الأخرى ١% مسيحيون ١% هندوس ١% عقائد أخرى [١].

---

(١) جمهورية باكستان دراسة في الجغرافيا – د. عبد الزهرة شلش – حولية كلية التربية الأساسية– الجامعة المستنصرية – بغداد العراق – العدد (٥١) سـ٢٠٠٧ ص٢٠٦.

وهذه التركيبة تضم معظم الفرق الشهيرة من أهل السنة والطوائف الشيعية من الإمامية الجعفرية، والإسماعيلية الأغاخانية، والإسماعيلية البهرة وكـذا يوجد عدد قليل من القاديانيين الذين اعتبرهم الدستور الباكستاني فئة غيـر مسلمة[١].

ومع هذا التنوع والتعددية في باكستان يشكل المسلمون ٩٧% مـن سـكان البلاد ويتبعون المذهب الحنفي ويليهم أهل الحديث «السلفيون».

وأشهر طوائف أهل السنة ثلاثة:

١- الديوبنديون : وهؤلاء أتباع دار العلوم ديوبند بالهند.

٢- البريلوية : وهم المتصوفة أتباع الشيخ أحمد رضا خان البريلوي.

٣- أهل الحديث : وهم السلفيون [٢] هؤلاء هم المدارس الكبرى للحركـات والفرق الإسلامية، ومنهم خرجت وإليهم تنتسب كل الجماعات الإسلامية.

- ونجد في باكستان أيضًا خليطًا من الأفكار والاتجاهات السياسية المتباينـة منها المعتدل والمتطرف، والمتدين، والمتصوف، فنجد الأحـزاب العلمانيـة، والقومية والشيوعية، والاشتراكية، بجانب الجماعات الإسلامية والتي منهـا المعتدل ومنها المتشدد وتحمل في طياتهـا أنمـاط السـلفية، والصـوفية، والتوفيقية ويمكن القول إن الأحزاب والتيارات المتعددة في باكستان وافقهـا منذ نشأتها صراع سياسي بين اتجاهين رئيسين:

الأول: كان التيار الليبرالي الذي تأثر أتباعه بالفكر الغربي بقيادة المؤسـس محمد علي جناح الذي اعتقد أن بإمكانه إقامة دولة إسلامية حديثـة علـى أساس الإسلام والديمقراطية.

الثاني: تيار علماء الدين التقليديون وفي مقدمتهم أبو الأعلى المـودودي [٣]

---

(١) سكان العالم الإسلامي – محمـود شـاكر – مؤسسـة الرسـالة – بيـروت ١٩٨٨ صـ٤١-٤٤.

(٢) انظر: المذاهب والأفكار المعاصرة في التطور الإسـلامي – محمـد الحسـن – دار البشير طنطا ١٩٩٨ط (٤) وسيأتي تناول هذه الجماعات فـي مقامـه لاحقًـا بهـذه الأطروحة.

(٣) ولد ١٩٠٣ من أونجزيب، عمل في الصحافة، محررًا فـي صـحيفة تـاج ١٩٢٠،

وكان اتجاه هذا التيار يميل إلى المدرسة السلفية [١].

وتلعب الأحزاب السياسية والجماعات الإسلامية – بتنوعهم – دورًا كبيرًا وأساسيًا في سياسية باكستان، وبما أن موضوع البحث عن الحالة الدينية وتنوعها ودورها الإصلاحي في المجتمع الباكستاني فسيكون الحديث عنها بعناية مع ما للأحزاب السياسية من أهمية إلا أنه لابد من الإقرار بالدور الأكبر للتيارات الإسلامية وتأثيرها على المزاج السياسي في باكستان حيث تتحرك لتشكل الهوية الوطنية في باكستان على الإسلام وتثبيت المؤسسات الديمقراطية في البلاد [٢].

ثالثًا: حول مشروعية التنوع والتعددية للأحزاب الإسلامية

الحركات والجماعات الإسلامية والاتجاهات المتعددة هي واقع لا ينكر في باكستان بل هي مكون رئيسي للدولة والنظام في باكستان ، ومفهوم هذه الحركات والجماعات وألوان الطيف الديني والسياسي هو ما يجب أن يكون «عملًا دائبًا متواصلًا، وليس مجرد كلام يقال أو هتافًا يطلق، أو خطبًا ومحاضرات أو كتبًا ومقالات، بل هو عمل في مجالات الفكر والتربية، والسياسية والاجتماع والاقتصاد، والعمل على توحيد الأمة، وتحرير الأرض الإسلامية من كل عدوان ونشر الدعوة الإسلامية والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٣].

يقول الأستاذ أنور الجندي عن التنوع الديني من التيار الإسلامي : إنه تيار

وانتقل إلى دلهي في صحيفة مسلم وانضم لاحقًا إلى حركة بخلافة، ثم في عام ١٩٣٣ تولى تحرير مجلة ترجمان القرآن، ترك إمارة الجماعة الإسلامية ١٩٧٢ وتوفي ١٩٧٩ – للمزيد من التفاصيل انظر: الصحوة الإسلامية من التحدي الحضاري – محمد عماره – دار المستقبل – مصر ١٩٨٥ صـ١٤٢.

(١) باكستان دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية . ستار جبار علاوي – دار الجنان – عمان الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢ صـ١٢٠.

(٢) باكستان دراسة في نشأة الدولة – مرجع سابق صـ١١٩.

(٣) أوليات الحركة الإسلامية – يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة القاهرة – ص٩.

أصيل بعيد عن التعصب والانحراف والجمود، ويستمد مفاهيمه وقيمه من القرآن الكريم والسنة المطهرة بفهم وسطي كفهم أهل السنة والجماعة، ومهمته العمل على إعادة المجتمع الإسلامي إلى قاعدته وفق منهاج النبوة دون اقتحام لعوامل العنف والتعصب والاستعجال ولا تصادم مع نواميس الكون[١].

وأتناول في هذا المبحث التعددية في المجتمع الباكستاني في ضوء القرآن والسنة والواقع

المطلب الأول

مفهوم التعددية في ضوء القرآن والسنة

القرآن الكريم تحدث عن التنوع في آيات كثيرة، وهذا التنوع أو التعددية ظاهرة تراها في كون الله صباح ومساء قال الله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] وفي عالم الحيوان بعد عالم النبات قال الله : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[٢] [الأنعام: ٣٨].

- وكذا الحال في عالم الإنسان فيه تعددية وتنوع في صورته، وصوته، وكل خلقته مليارات البشر لكل منهم خصائصه، فعددية علمية ومعرفية متفاوته فيما بينهم تفاوت كبير [٣].

والتعددية التي هي نقطة البحث في باكستان من تعريفاتها:

- «إيقاع أسماء مقررة على سياق واحد»[٤].

---

(١) انظر: مقال بعنوان «ماذا يمثل التيار الإسلامي الأصيل – أنور الجندي – مجلة لواء الإسلام عدد مايو ١٩٨٧ صـ٤ الصادرة من القاهرة» .

(٢) انظر التنوع والتعايش – بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية – حسن الصفار– دار الساقي – بيروت– لبنان طبعة أولى سنة ١٩٩٩ صـ٢٢.

(٣) المرجع السابق صـ٢٣-٢٦.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون – للقاضي محمد على التهانوني – نشر سهيل أكاديمي – لاهور باكستان طبعة أولى سنة ١٩٩٣ مادة التعديد (جـ٢/٩٥٢).

والقصد من هذا التعريف وجود أشياء متنوعة يجمعها قالب واحد أو إطـار واحد، وبينها قواسم مشتركة ، وعل هذا يتضح من خلال تعريف د/ محمـد عمارة يقول: «تنوع مؤسس على تميز وخصوصية، ولذا فهي لا يمكـن أن توجد وتتأتى بل ولا حتى تتصور إلا في مقابلة مع الوحدة والجامع، لـذا لا يمكن إطلاقها على التشرذم والقطيعة التي لا جامع بين وحداته [(١)].

– ويعرفها د/ محمد سليم العوا: التعددية في جوهرها التسليم بـالاختلاف ، والتسليم به واقعًا لا يسع عاقل إنكاره، والتسليم به حقًا للمختلفين، لا يملـك أحد أو سلطة حرمانهم منه [(٢)].

– وقيل التعددية: حرية التجمع السلمي والتعبير عن الرأي ضـمن الإطـار العام على أسس واضحة سليمة، ذلك لأن الاختلاف في الاجتهـادات مقبـول شريطة أن يكون كلها لمصلحة الأمة، وأن تكون مصلحة الأمـة فـوق كـل اعتبار، فإذا أدت التعددية إلى التمزق والتفوق وجب منعها [(٣)].

وأخلص من هذه التعريفات بأمور أهمها:

١– أن كل التعريفات مقصدها تحقيق التعايش مع الآخر وقبول تواجده ومنع اقصائه.

٢– حرص الجميع على ذكر أن التعددية تعني الوحدة الجامعة ارتكانًا علـى القواسم المشتركة من دين أو وطن أو عرق أو مذهب، بينما التعدد يدل على التفرق والتشرذم وهو مذموم.

٣– التعددية تعني الاختلاف والتنوع، وليس الإيمان بـه، إنمـا الاعتـراف بوجود وإمكانية العيش مع المخالف، وهكذا كل التعاريف تدور حـول هـذا المعنى.

---

(١) الإسلام والتعددية – د. محمد عمارة – دار الرشاد– القـاهرة – طبعـة (١) سـنة ١٩٩٧ صـ٥.

(٢) انظر: التعددية السياسية من منظور إسلامي – محمد سليم العوا ــ بـدون ، طبعـة صـ٢٢.

(٣) انظر: مجلة اللواء الإسلامي – الصادرة عن دار التحرير للنشر – مصـر – العـدد (١٠١٦) صـ٢١.

- والإسلام قرآنا وسنة ذكر كل أنواع التباين والتعددية وأقر بوجودها حتى تعدد المعبودات عند البشر فقال سبحانه: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ ﴾ [النحل:٢٤] فهؤلاء عبدوا الشمس، وذكر عبّاد الهوى فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]، لكن مع هذا الاعتراف بالتعددية فالدين عند الله الإسلام، وقد بين الله أن حمل الناس قسرًا وكرها على الحق ليس من الإسلام فقال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وذكر القرآن مشارب الناس ومللهم من اليهود والنصارى وغيرهما، ودليل على التعايش بين الجميع بعد التنظير القرآني كان الواقع العملي في مدينة رسول الله وكانت صحيفة المدينة خير دليل على هذا وجاء فيها:

- أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.
- على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.
- وأن بينهما النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإن النصر للمظلوم.
- وأن يثرب (المدينة) حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة.
- وإذا حدث شجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ورسوله.
- وأن بينهما النصر على من داهم يثرب.

بهذه الوثيقة أصبحت المدينة عاصمة الإسلام [1] هكذا وفي ظل الدولة الإسلامية محافظة على الآخر، وفكره، وعقيدته، بل اعتبرته لبنة من لبنات المجتمع، فكان التعايش والتوافق الحضاري نموذجًا رائدًا في ظل الاختلاف العقدي وهذا من عظمة الإسلام.

- إذا فمراد التعددية: تحقيق فكرة التعايش بين المعتقدات والأفكار والثقافات مع محافظة الجميع على خصائصه دون إكراه أو إقصاء، لأن الاعتراف

---

(١) انظر: الرحيق المختوم – صفي الدين المباركفوري– دار الهلال – بيروت – لبنان ط (١) صـ١٧٣.

بالآخر والتعايش معه لا يستلزم الاعتراف بشرعيته وفكره أو ثقافته، وإنما يستوجب التعايش معه وعدم التجاوز في حقه، فتعدد الثقافات والحضارات واقع ديني وبشري .

* * *

المطلب الثاني
أنواع التعددية وضرورتها

والتعددية في داخل المجتمع المسلم تشمل أنواعًا كثيرة، منها ما يتعلق بالتعددية بين المسلمين أنفسهم، ومنها ما يتعلق بينهم وبين غيرهم من أهل العقائد الأخرى وأنواع التعددية كالآتي:

١ـ التعددية اللسانية واللغوية:

وهذه أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

وهذا واضح ملموس في باكستان وغيرها بين من يتكلم بالعربية، والسندية والأوردية، والإنجليزية.

٢ـ التعددية الثقافية:

فثقافات الشعوب تختلف، وثقافة الشعب الواحد تختلف بين ثقافة أهل الحضر، وثقافة أهل البادية، ثقافة المتعلمين، والأميين ، ثقافات ومشارب في المأكل والمشرب والمسكن والعادات والتقاليد والإسلام يسع هذا التنوع وهذه التعددية، فلم يؤثر أن أجبر الإسلام الثقافات المتباينة على ملابس معينة أو مأكل معين بل قال رسول الله: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة» وقال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة [(١)].

وهذا التنوع الثقافي يثري الحضارة وينهض بالدولة بأن يترك كل واحد بصمته وفكره .

٣ـ التعددية السياسية والحزبية:

وهذه تعددية تحدث إثراء في المجتمع طالما كانت في إطار القانون والنظام

---

(١) رواه البخاري – كتاب اللباس حديث (٥٧٨٣) فتح الباري جـ١٠ صـ٢٦٣.

العام للدولة، فمن حيث المبدأ التعددية السياسية مقبولة بخلاف بعض الجماعات المتشددة التي تحرم الأحزاب، وأن هذا لا يليق بالدولة الإسلامية، وهؤلاء نحيلهم إجمالًا إلى مفهوم الدولة الإسلامية وأن لا شيء في الإسلام اسمه دولة دينية، إنما دولة مدنية تحتكم إلى شرع الله، الذي يحتوي الجميع ويقبل بتعدد الآراء (١).

- فتعدد الأحزاب كتعدد الآراء الفقهية ومذاهبها، أما أن تمنع التعددية الحزبية والسياسية ارتكازًا على سلوكيات خاطئة من حزبيين ينسبون أحزابهم إلى طبقية أو عنصرية فهذا لا يعد مبررًا للمنع لأن هذا نموذج يبرأ الإسلام منه، لأن التعددية المرادة في مجال الأحزاب هي تعدد المشاريع الإصلاحية، تعدد الرؤى والأفكار والمناهج والسياسات.

٤ـ التعددية الدينية:

وأتوقف عند هذا النوع لأهميته ولمساسه بالحياة في باكستان وأثره الكبير هناك.

فالله سبحانه خلق الناس مختلفين، وميزهم بالإرادة والاختيار فقال ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] فلم يشأ الله أن يجبر الناس على دين واحد، أو على الإيمان به، إنما ترك لهم حرية الاختيار وأدواته ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

- وفي سورة من أعظم سور القرآن ذكر في الاعتزاز بالدين وكذا التسامح العجيب من رسول الله مع غير المسلمين قال الله ما نتوقف أمامه هنا في قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] لم يقل رسول الله لي ديني وليس لكم دين، ذلكم أن الحياة تتسع الجميع، وإن اختلفت الديانات (٢).

- لذا لا مانع أن يعتقد المسلم أن دينه هو الحق - وهو كذلك - لكن

---

(١) الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام - يوسف القرضاوي - صـ٤٥ مرجع سابق.

(٢) الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام - صـ٣٦-٣٧ سابق.

وبالمقابل فإن هذا شعور كل ذي دين ولا ملامة عليهم في ذلك ، لأنه لابد من الاعتراف بأن هناك أديان تعيش في دنيانا، يؤمن بها أصحابها وذكر القرآن ذلك حينما قال الله على لسان نبيه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [النساء:١٧١].

ومعروف أن الإسلام وسع جميع الأديان، وعاشت في ظلاله قرونًا، فعاشت النصرانية، واليهودية، والمجوسية، والهندوسية وغيرها من الديانات عاش كل هؤلاء والمسلمون هم سادة العالم، ولهم من القوة ما لهم، ومع ذلك لم يفرضوا دينهم على الناس (١).

عاشوا كأهل ذمة لهم حقوق وعليهم واجبات، لهم كنائسهم وصلبانهم وأزياؤهم لم يجبر واحد منهم على ترك دينه ولم تحرق كنيسة أو تهدم (٢).

٥ـ التعددية الدعوية:

من التعددية المعتبرة التي يجب أن تؤصل فقهًا وواقعًا عند التنوع الباكستاني التعددية الدعوية، خاصة وأن باكستان تزخر بعدد هائل من المنظمات والفرق والجماعات الدعوية ومرد هذه التعددية وأصلها يرجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: احتمال النصوص الشرعية وحملها أوجه كثيرة.

الثاني: اختلاف مدارك العلماء والناس عامة وتفاوتهم في الفهم والاستيعاب (٣).

الثالث: توسع بلاد المسلمين، وانغماس الناس في الحياة الدنيا بعد أن فتحت عليهم، فكانت الحاجة ماسة إلى إعادة الناس إلى صحيح الدين كل بطريقته.

– يقول د/ ماجد عرسان الكيلاني: «والأصل في التصوف أنه نشأ كمدارس تربوية هدفها التزكية للنفس، وصقل الأخلاق، كالمدارس التي تنسب إلى الحارث المحاسبي، والجنيد البغدادي، وأبي جعفر النيسابوري، وهذا

---

(١) الحرية الدينية والتعبدية في ظل الإسلام – القرضاوي صـ٣٦-٣٧.

(٢) انظر: نحن والغرب أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة يوسف القرضاوي دار النشر والتوزيع الإسلامية سنة ٢٠٠٦ صـ٢٠٠٦.

(٣) انظر: دراسات في الاختلافات الفقهية – محمد أبو الفتح البيانوني – دار السلام للطباعة والنشر طبعة (٣) سنة ١٩٨٥ صـ١٩.

المدارس لم تغلو في آرائها ولم تخرج عن الشريعة قيد شبر، غير أن التطور الطبيعي أن هذه المدارس التربوية، تطورت إلى مدارس فقهية، ثم إلى مذاهب» [١].

وتعدد الفرق والجماعات خاصة بعد سقوط الخلافة الإسلامية ، رآها بعض الدعاة والمصلحين أمرًا لازمًا ليعوضوا بها ذلك الفقد الذي حدث نتيجة سقوط الخلافة الإسلامية[٢].

- ظهرت الفرق الإسلامية والجماعات والمنظمات بتعددها وتنوعها واتجاهاتها المختلفة فمنهم من اهتم بالجوانب التبليغية، وآخرون بالروحانية والرقائق وآخرون بالتربية الفكرية، والسياسية، والجهادية، والخيرية، والتعليمية وهكذا، وهذا واضح ملموس لكل متابع للحركات والفرق الإسلامية وكل هذا مقبول طالما كان مؤطرًا بالشرع والقانون وحماية الحريات العامة للآخرين.

***

---

(١) انظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس – ماجد عرسان الكيلاني طبعة أولى سنة١٩٨٥ الدار السعودية للنشر والتوزيع صـ٣٣.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة – محمد أبو الفتح البيانوني – الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان صـ٣٣٤.

المطلب الثالث
التعددية بين مؤيديها ومعارضيها

- سبق الإشارة إلى إقرار الإسلام للتعدية والاختلاف ، والدعوة لتوظيف هذا التنوع وهذه التعددية في التعارف والتعاون الإنساني، وأن الإسلام مع سعيه لتحقيق هذا التعايش بين أبناء المجتمع على اختلافهم رفض كل أنواع التفرقة والتميز بين أبنائه، ورفض التقسيم الطبقي وجاء بالإخوة الإسلامية بين المسلمين وبعضهم، وبالأخوة الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين.

ومع كل هذا تلقى أبناء التنوع دعوة القبول بالتعددية بين مؤيد ومعارض لها.

أولا: المعارضون للتعددية بأنواعها وأدلتهم:

يرى حسين بن محسن بن علي جابر بأن التعددية في الأمة المسلمة باطلة يجب أن تزول، ويقصد بذلك تعدد الجماعات والفرق فيقول: «اقتناعي أن تعدد الجماعات الإسلامية في الأمة باطل، وأن الواجب أن تصب جهود الأمة كلها في قالب واحد، وفي اتجاه واحد» (١).

ويقول محمد سرور: «إن تعدد الجماعات الإسلامية والقيادات اليوم حالة مرضية لا يجب أن تستمر بحال من الأحوال، وكل مسلم مسؤول عن هذه الظاهرة، ليعود المسلمون كما كانوا خير أمة أخرجت للناس» (٢).

- ويقول د/ فتحي يكن في سياق حديث عن ظاهرة التعددية في الأمة «إن ظاهرة التعددية في الساحة الإسلامية تشهد ولادة حركات وتنظيمات وفرق إسلامية على نطاق واسع، والبعض يراها ظاهرة صحية، فإنني من خلال المفهوم الشرعي للعمل الإسلامي ومن خلال التقدير الصحيح للمصلحة العامة أعتبره ظاهرة مرضية وخطيرة تنذر بعواقب وخيمة لا يعلم مداها إلا

---

(١) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين – حسين بن محسن بن علي بن جابر – دار الدعوة – الكويت ط(١) سنة ١٩٨٤ صـ١٨.

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله – محمد سرور بن نايف زين العابدين – دار الأرقم الكويت الطبعة (١) ١٩٨٤ صـ ١٦٨.

الله» [(١)].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد: «وجماعة المسلمين واحدة لا تعدد فوق أي أرض وتحت أي سماء، لأن الحق واحد لا يتعدد» [(٢)].

وأدلة هذا الفريق المعارض للتعددية كالآتي:

١- استدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩] وبقول الله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢] وبقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢- واستدلوا بالحديث الدال على افتراق الأمة إلى فرق كثيره، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان من أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلُهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي» [(٣)].

٣- قالوا: إن الآيات الدالة على منع الاختلاف في الدين والتفرق كثيرة؛ لأن ذلك من صفات المشركين قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥] ، وغير ذلك كثير من الآيات على هذا النسق.

- واستدلوا بأدلة عقلية ذكروا فيها الآثار المترتبة على التعددية في المجتمع الإسلامي، وأبشعها جعلهم الولاء للحزبية والطائفية وليس للإسلام وأن

---

(١) انظر: احذروا الإيدز الحركي – فتحي يكن– مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة (٤) سنة ١٩٩٣ صـ٢٤.

(٢) انظر حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية – الشيخ بكر أبو زيد – مطابع الدرعية – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ صـ١٣٧.

(٣) رواه الترمذي في سننه – كتاب الإيمان – حديث رقم (٢٥٦٥) وقال الترمذي حسن غريب.

مفاسد التعددية غلبت على ما فيها من مصالح[١].

– وقالوا بأن في التعددية إيحاء بالتناقض والاختلاف وأن ذلك ينتج عنه اختلاف في الأصول، إذ التعددية مناخ مناسب لتوالد كل التناقضات على الساحة الإسلامية، وهذا من عمل الأعداء لترتيب سياساتهم وتنظيم مؤامراتهم [٢].

– وقال المعارضون: إن هذه التعددية لم تكن موجودة على عهد رسول الله ه فلو لم يكن من شرها أنها عمل مستحدث لكفى [٣].

– من أكبر الأدلة العقلية على شر التعددية تشجيع الأعداء لها والدعوة إليها في مؤتمراتهم، «ولو علم الأعداء أن فيها خيرًا لحاربوها ومنعوها لكنهم واثقون أنها سبب لتفريق الأمة ....»[٤].

وهنا أقول: إذا أخذ بهذا الرأي في دولة كباكستان عمادها وأساسها يقوم على التنوع والتعددية التي لا يمكن المساس بها لحدث ما لا يحمد عقباه ، إذ التعددية هناك راسخة .

لذلك من المناسب أن نناقش الأدلة السابقة النقلية والعقلية جملة واحدة.

أولًا: أدلة المعارضين النقلي منها والعقلي كلها تؤكد على الوحدة وذم التفرق والحقيقة يجب ألا نغفل عن حقيقة ذكرها القرآن وهي تناوله للوحدة والتعددية ففي الأولى قال الله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢] وفي الثانية قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨].

– وهنا حتى لا يتوهم أحد أن هناك تعارض بين القرآن لابد من التوفيق بين

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي – على حسن بن علي عبد الحميد – مكتبة الصحابة – جدة ، ومكتبة التابعين – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢ صـ٢٣-٢٤.

(٢) انظر: احذروا الإيدز الحركي – فتحي يكن – صـ٢٥ مرجع سابق.

(٣) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب – صـ١١٣ مرجع سابق.

(٤) انظر: الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي – صـ٢٥.

النصين فنحمل الآية الأولى على الأصول الإسلامية والثوابت القطعية التي لا مجال فيها للاجتهاد ولا للرأي، وهذه تمثل القواسم المشتركة وركيزة الوحدة بين المسلمين فالإسلام بأصوله وثوابته واحد لا يتعدد.

- وأما النصوص التي تتناول التنوع والتعددية فمردها إلى ما يقبل الاجتهاد وإلى مساحة العفو في التشريع الإسلامي، وتحمل كذلك على الشرائع والمناهج والوسائل والأساليب، إذا أرى أنه لا تعارض بين آيات الوحدة وآيات التعددية والتنوع، وأن ما استدلوا به من آيات إنما تتعلق بوحدة الملة وهذا لا اختلاف عليه .

- كذلك لا يمكن حمل النصوص المحذرة من الافتراق والاختلاف في الدين على منع التعددية والتنوع المجتمعي في كل المجالات، إنما هي نصوص حذرت من أمرين:-

- الاختلاف في القطعي البين من الأصول وليس الشرائع والمناهج وتأكيد ذلك في قول الله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥] والبينات هي الواضحات القاطعات التي يستحيل الخلاف فيها لأنها تتعلق بأصول الإسلام وثوابته.

- وأما الرد على أدلتهم العقلية:

- فقولهم بأن ما تتعرض له التعددية في المجتمعات الإسلامية من محن دليل على بطلانها- فهذا لا يصلح دليلًا على المنع، لا سيما وأن لها من الإيجابيات ما سنذكره عندما نتحدث عن التعددية الواقعية في باكستان وعملها ونشاطها التربوي والخيري وخلافه.

- وعجبًا قولهم: إن التعددية مفتاح كل تناقض، وهذا لا نسلم به، لأن التعددية المستهدفة معنا في البحث هي التنوع في الإطار الواحد وهو الإسلام بين المسلمين وبعضهم، والإطار الواحد بين المسلمين وغير المسلمين هو الوطن الذي يضم الجميع.

- وأما قولهم بأن التعددية لم تكن موجودة على عهد رسول الله، ولا صحابته الكرام، فلو صح هذا الفرض فلا دليل فيه على المنع، لأن الترك ليس من الأدلة المعتبرة شرعًا ، إلًا إذا قطع معه بوجود الدواعي إلى العقل

وانتفاء الموانع ، فالتعددية لم تتوفر الدواعي إليها في الصدر الأول، مع وجود أدلتها الشرعية السابق ذكرها من القرآن والسنة.

ثانيًا: أدلة المؤيدين للتعددية

أدلتهم النقلية:

- استدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩] بين الله تعالى أن التنوع واختلاف الناس أمرًا مقصودًا، على أديان ومشارب شتى.

- يقول الله تعالى مبينًا التنوع والتعددية في الخليقة يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧ ، ٢٨].

- ويقول الله الذي يشير فيه إلى تعدد الشرائع المرسلة وتنوعها يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة:٤٨][(١)].

- واستدلوا بالآيات التي استدل بها المعارضون للتعددية والتنوع، والتي تحذر من الفرقة والاختلاف من ذلك قول الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩] وبقوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ﴾ [الشورى:١٣] قالوا بأن هذه الآيات إنما تحذر من التفرق والاختلاف في غير محل الاختلاف حيث الوضوح القاطع بالبينات التي لا تقبل خلافًا، والبينات الحجج الواضحة.

---

(١) انظر: الأصول المعرفية للتعددية في المصادر الإسلامية القرآن الكريم – حسان عبد الله بحث منشور بموقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٧ islamontine.net

ومن الأحاديث النبوية:

ما رواه بن مسعود ط قال : «سمعت رجلًا قرأ آية وسمعت النبـي يقرأهـا خلافه، فجئت به إلى رسول الله فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقـال: «كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» [١] وفي هذا الحديث إقرار من رسول الله ه بالتنوع والتعددية في القـراءة فـي مقابـل تحذيره الشديد من التنافر والتفرق والتشاحن.

ثانيًا: أدلتهم العقلية

١- التنوع والتعددية أمر طبيعي تكويني، يقع من دون اختيار للإنسان فـلا أحد منا يختار انتماءه العرقي ولا القومي، ولا شكله، ولا لغته ولا لونه، فهو تنوع يتم بأمر الله ومشيئته، وأما التنوع الكسبي فهو المـرتبط بالقناعـات والأفكار والسلوك وأنماط الحياة، وهو تنوع ناشئ عن إرادة الله فـي خلـق الإنسان حرًا مختارًا قادرًا على التفكير واتخاذ القرار، وتحديد الاتجاه في هذه الدنيا ومن بعد ذلك يستحق الثواب أو العقـاب، قـال تعـالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة:٤٨] ومن ثم فلا يحـق لأحد أن يمنع هذه التعددية وهذا التنوع [٢].

٢- التنوع والتعددية متعلق بالتمايز بين الناس في خلفياتهم الثقافية وأنماط حياتهم وهذا مدعاة للتعارف والتكامل فيما بينهم وهذا هو اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فهذا التنوع وهذه التعددية تؤكد الرغبة والميول لمعرفة ما عند الآخر، ودراسة واقعه، رغبة في التكامل والتواصل: قـال الله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات:١٣].

***

---

(١) صحيح البخاري – ك أحاديث الأنبياء – حديث رقم (٣٢١٧).

(٢) انظر التنوع والتعايش – حسن الصفار – صـ٤٢-٤٣ مرجع سابق.

المبحث الثاني
التعددية في المجتمع الباكستاني

اقتضت سنة الله في كونه ومخلوقاته التعددية والتنوع، وأنه لا وحدانية إلا لله سبحانه وتعالى.

وأما التنوع والتعددية في باكستان فمن أهم سمات ومكونات الدولة هناك ولا يخلو منه مجال، تنوع وتعددية عرقية، ودينية وجغرافية، وقومية ولغوية، وهذا كله واقع معاش في باكستان اليوم.

المطلب الأول
التعددية الجغرافية والعرقية

- جغرافيًا تعمد الاحتلال البريطاني تقسيم باكستان بشكل مهترئ وعجيب فظهرت الدولة في بدايتها مكونة من شطرين باكستان الغربية وباكستان الشرقية والعجيب الفصل بينهما بمساحات شاسعة من الأراضي الهندية وهذا ما أوجد العديد من المشاكل وعرقل الاندماج بين الشطرين بل أدى إلى انفصال الجانب الشرقي في دولة مستقلة وهي ما تعرف اليوم (بنجلاديش) [(١)].

- والأقاليم الأربعة المكونة لباكستان اليوم (البنجاب – والسند) وخيبر بختونخوا (المعروف قديما بإقليم الحدود الشمالية الغربية، وإقليم بلوشتسان، وبين هذه الأقاليم تمايز كبير في اللغة والعرق والمساحة، وحياة السكان وأعمالهم.

وتفاصيل الأقاليم سيأتي بيانها في المطلب الثالث من هذا المبحث.

***

المطلب الثاني
التعددية الدينية

باكستان البلد الإسلامي بنسبة مسلمين تصل إلى ٩٧ % يشهد تنوعًا دينيًا فمع الأكثرية المسلمة، تعيش الأقليات المسيحية، والهندوسية، والقاديانية، والسيخ أيضًا، ومن داخل هذا التنوع يأتي التنوع الثقافي والفكري في دائرة المسلمين فيشمل السنة والشيعة، ومن داخل السنة تشهد باكستان عشرات

---

(١) باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٣٦ مرجع سابق.

الفرق والجماعات والمنظمات ما بين دعوية، وسياسية وسياسة دعوية ، وطائفية.

– وهذا ملموس على مستوى الواقع الباكستاني الحياتي الزاخر بالتعددية والتنوع والمشار إليه في ثقافة الإسلام وتعايشه مع الآخر ، من خلال الرؤية القرآنية لواقع الحياة ومعادن ومعتقدات الناس فيها بتناوله لأهم الديانات السماوية والوضعية في قول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧] استعرضت الآية أتباع ست ديانات معروفة، والمتدبر للآية يلاحظ الإقرار القرآني بحقيقة الاختلاف بين البشر، ومنه اختلاف الدين، الذي لا يمكن أن يلغي بالقوة أو بالإكراه لقول الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الكافرون:٦] وقوله ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦][1].

التنوع الفعلي في باكستان:

أولًا: الإسلام وهو السبب الوحيد لانفصال باكستان عن الهند، والعامل المشترك بين باكستان بشطريها الغربي والشرقي، وكان المعتقد أن الإيمان بدين واحد كفيل بحل كل أزمات المسلمين، ولكن لم تنجح باكستان في رأب الصدع الداخلي خاصة عندما زادت نزعات الانفصال عند القومية البنغالية ونجحت في الاستقلال ١٩٧١ [2].

– التنوع الديني في باكستان أبرز خلافات كبرى بين المسلمين في باكستان الحالية (الغربية) فالمسلمون من أهل السنة جميعهم ينتمون إلى المذهب الحنفي ورغم ذلك انقسموا إلى ثلاث مدارس فكرية:

١– البريلوية «أهل التصوف».

وأكثر أهل السنة في باكستان أتباعًا لهذه المدرسة، إذ أنها مدرسة تتميز في

---

(١) انظر التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية الوطنية – حسن موسى الصفار صـ٣٤-٣٥ سابق.

(٢) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٤٠ مرجع سابق.

تفسيرها وعرضها للإسلام بالتسامح والوسطية، ولها العديد من المؤسسات وخاصة التعليمية، حيث تدير ما يقرب من ٢٥% من مدارس باكستان، وعندها جمعية علماء باكستان بجناحيها في كراتشي، والبنجاب.

٢- الديوبندية:

وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وتبنت الدعوة إلى تطهير الإسلام من البدع والخرافات، والتقاليد المحلية المتشددة، ومن بعض الممارسات الصوفية، وقد تبناها كنموذج لأسلمة باكستان، مع أنها لا تمثل إلا ما يقرب من ١٥% من سكان باكستان، ويقع تحت إدارتها ما يقرب من ٦٥ % من مدارس باكستان الدينية، ويمثل جناحها السياسي حزب جماعة علماء الإسلام [١] إضافة لتنظيمات طائفية أخرى سبق الحديث عنها في الفصل الأول.

٣- أهل الحديث (السلفية)

وهي جماعة تميل إلى التشدد والغلو، وتتبع في فكرها ومنهجها الحركة الوهابية (محمد بن عبد الوهاب) وتتبنى خطابًا يحمل راية الفرقة والعنف والهجوم المستمر على الصوفية، وتمتلك العديد من المؤسسات كالمدارس والمعاهد، وقناة تلفزيونية باسم «بنغام» أو الرسالة[٢] وللحركة ما يقرب من سبعة عشر تنظيمًا في باكستان أشهرها جماعة الدعوة والإرشاد، التي تحولت لاحقًا إلى جماعة الدعوة ثم إلى جناح عسكري باسم عسكر طيبة المحظور حاليًا في باكستان [٣] إلى اليوم .

- والمؤسف أن (أهل الحديث) بتنظيماتها وأجنحتها العسكرية تمارس عنفًا طائفيًا ضد الصوفية، وضد الشيعة في باكستان.

---

(١) المرجع السابق صـ٢٤١.

(٢) انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والحركات الإسلامية – عبد المنعم الحفني مكتبة مدبولي- القاهرة سنة ١٩٩٩ صـ١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر: صحيفة الشرق الأوسط – مقال باكستان الوجه الآخر لجماعة الدعوة ١١ يوليو سنة ٢٠١٦.

٤- المسلمون الشيعة

أكثرهم انتشارًا في باكستان الاثنا عشرية ويتواجدون في لاهور وجنوب البنجاب، والبهرة الإسماعيلية وهم الأقل في جماعة الشيعة الباكستانية ويتواجدون في كراتشي، ويتميزون بالثراء وجودة التعليم ولدى الشيعة تنظيمات ومجموعات عسكرية مسلحة ومن أخطرها حركة نفاذ الفقه الجعفري والتي أصبحت لاحقًا «تحريك الجعفرية» بالإضافة إلى تنظيم الإمامية [١].

ثانيًا: الأقليات الدينية

١- الهندوس:

ويشكلون أكبر أقلية دينية في باكستان حيث يبلغ عددهم ما يقارب ثمانية ملايين هندوسي[٢] من بينهم نخبة من الأثرياء والإقطاعين ، وهاجر كثير من الهندوس إلى الهند نظرًا لإحساسهم بعدم الأمان وضياع حقوقهم كأقلية، وتأثرهم الدائم بالعلاقات المتوترة بين الهند وباكستان، حيث تتخذهم الجماعات المسلمة المتشددة أهدافًا للانتقام منهم، مقابل ما يحدث للمسلمين على أيدي الهندوس في الهند.

- ومؤخرًا قامت الحكومة الباكستانية بوضع خطة لترميم أربعمائة معبد للهندوس [٣] ومؤخرًا صدرت حزمة قوانين هدفها منح الأقليات حقوقهم ومنهم الهندوسية، ومن هذه القوانين قانون حماية المرأة الهندوسية وتحديد سن زواجها بثمانية عشر عامًا، وحقها في الطلاق حال إهمال الزوج حقوقها[٤].

٢- المسيحية:

حيث يشكل المسيحيون نسبة ١,٦% من سكان باكستان ويتناقص عددهم

---

(١) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٤٣ مرجع سابق.

(٢) موقع العرب على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٨ Alarb.co.uk

(٣) وكالة الأناضول التركية بتاريخ ٢٠٢٠/٢/٨ aa.com

(٤) موقع العين الإخبارية نقلًا عن وكالة أنباء رويترز al.ain.com

يومًا بعد الآخر[١] ويعيشون في كراتشي وعدد من قرى إقليم البنجاب ومدينة لاهور، وفيصل آباد بإجمالي مليونين وثمانمائة ألف وسبق أن ذكرت بعض أحوالهم في الحديث عنهم في الباب الأول حيث يعدون من الأقليات المهمشة اجتماعيًا وسياسيًا، حيث يعيشون حياة بائسة، ويواجهون تحريضًا وإرهابًا من غيرهم يطاردهم أينما ذهبوا، وذكر رئيس حزب حركة توحيد المسيحيين في باكستان «ألبرت ديفيد» أن عدم وحدة المسيحيين في باكستان من أهم عوامل فقدان وزنهم السياسي وضياع حقوقهم، وعدم اكتراث الأحزاب بمطالبهم وأهمها وقف التمييز الاجتماعي وخطاب الكراهية ضدهم في المجتمع من جانب المتشددين الإسلاميين وغيرهم [٢].

ومما ساهم في تعرض الأقلية المسيحية للقهر والاضطهاد في باكستان انضمام باكستان إلى تحالف الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد الإرهاب بعد هجمات ١١سبتمبر ١: ٢٠ مما جعلهم هدفا لانتقام الجماعات الإسلامية المتطرفة .

٣- القاديانية:

وهي نسبة إلى ميرزا غلام أحمد وسبق الكلام عنها وعن رأي علماء الإسلام فيها، أما هنا فالحديث عن واقعها المبهم في باكستان حيث من الصعب مجاهرة القادياني بفكره، وربما يصعب معرفتهم؛ لذلك لا يمكن معرفة عددهم تحديدًا في باكستان.

- بعد إعلان من ميرزًا كفر فيه كل إنسان لا يتبع القاديانية طالب علماء المسلمين بإعلان الأحمدية القاديانية أقلية، وإقالة أتباع الأحمدية من مناصبهم، ووافق البرلمان على ذلك ١٩٧٣، وفي عهد ضياء الحق ومع برنامجه لأسلمة باكستان عادت القضية من جديد ودعت (حركة تحريك خاتمية النبوة) بمزيد من العقوبات ضد الأحمدية وتقدموا بمجموعة من المطالب أبرزها:

---

(١) انظر موقع باكستان أليتيا ٢٠١٥/١٠ ar.aleteia.org

(٢) موقع الجزيرة نت على الشبكة العنكبوتية – نشر بتاريخ ٢٠١٦/٣/٢٨ وشوهد ٢٠٢٠/٨/٢٤.

- إقصاء الأحمديين من المناصب المدنية والعسكرية.
- غلق مساجدهم – منع نشاطاتهم وتأميم ممتلكاتهم.
- منع كتبهم ومحاربة أفكارهم واعتبارهم أقلية غير مسلمة، وهو ما تم إقراره [١].

وكما قلت وبطرح تساؤلي على كثير من الأخوة الباكستانيين في مصر وفي باكستان عن واقع القاديانية قالوا يصعب معرفة أحوالهم في باكستان لتخفيهم وعدم إظهار عقيدتهم [٢].

***

المطلب الثالث
التعددية القومية

تتكون باكستان من عدة مناطق لا يجمعها إلا رابطة الدين الإسلامي، إلَّا أن المراحل المتعاقبة على البلاد فشلت في جعل باكستان أمة واحدة خاصة بعد انفصال باكستان الشرقية (بنجلاديش) لأسباب قومية، وإلى اليوم وباكستان تعج بمشاكل القومية والعرقية [٣].

- وتتألف باكستان من أربعة أقاليم كبرى البنجاب، والسند، وخير بختنونخوا، وببلوشستان، والباشتانيين، والبلوشيين [٤].

الأول: البنجاب:

---

(١) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٤٥/٢٤٧ مرجع سابق.

(٢) د. عبد الله أستاذ بالجامعة الإسلامية – باكستاني – د/ مصعب الخير الإدريس أستاذ سابق بالجامعة الإسلامية – وكلية الشريعة بقطر، ودار العلوم المصرية (مصري) ، ومحمد شاهد خان باكستاني وباحث ماجستير بجامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون بالقاهرة ، تم لتواصل معه مرات عديدة .

(٣) انظر: سياسة باكستان الإقليمية – هاني الحديث – مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت – سنة١٩٩٨ صـ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) انظر: جمهورية باكستان الإسلامية – الأطلس الأسيوي – جلال السعيد الحفناوي والمحرران محمد السيد سليم، ورجاء إبراهيم سليم – مركز الدراسات الأسيوية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٣ صـ١٤٦.

وعاصمته لاهور، ويعد من أكبر أقاليم باكستان، ويمثل ٥٦,٥% من مجموع سكان باكستان، ويسيطر أبناؤه على الجيش ومؤسسات الدولة المدنية، وما يقرب من ٩٠% من ضباط الجيش وبالأقليم أهم مؤسسات الدولة ومشاريعها الكبرى [١].

- وتبرز أهميته بسبب موارده الاقتصادية وكثافته السكانية.
- تمركز النخبة الصناعية فيه.
- هيمنة أبنائه على الجيش ومؤسسات الدولة.

٢- إقليم السند:

وهو من أهم الأقاليم الزراعية المهمة، عاصمته كراتشي ، ويمثل الإقليم مركز نفوذ حزب الشعب الباكستاني، ولا مقارنة بينه وبين إقليم البنجاب، فنسبة أبنائه بالجيش ١%، وأغلبية سكانه من الفلاحين يعيشون فقرًا وبؤسًا شديدًا [٢].

ويشهد الإقليم صراعًا سياسيًا بين سكان الإقليم الأصليين وبين المهاجرين الذين وفدوا إليه بعد التقسيم، ولا تتوقف فيه الخلافات الإثنية والعرقية وربما إلى اليوم يعاني المهاجرون ضياع حقوقهم الاقتصادية والثقافية وفشلت الحكومات المتعاقبة في حل مشاكلهم مما انعكس على أجواء التعايش بينهم وبين السنديين فظهرت المشاكل الطائفية [٣].

- وحاليًا يمثل المهاجرون أكثر من ٥٠% من سكان الإقليم ومع ذلك فليس لهم تمثيل عادل في الهيئات التشريعية، ولا في الحكومات الفيدرالية ولا في الوظائف العليا في الجيش والشرطة، وأدت هذه الممارسات العرقية إلى زيادة مشاعر الكراهية بين أبناء الوطن الواحد[٤].

---

(١) انظر: التعددية الحزبية في باكستان – دراسة في ضوء التطورات الدستورية– مجلة العلوم السياسية كلية العلوم السياسية جامعة بغداد العدد (١) سنة ١٩٩٤ صـ١٧٥.

(٢) انظر: التكوين القومي الباكستان– هاني الحديث – صـ١٧٦ مرجع سابق.

(٣) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) انظر: المشاكل القومية والعرقية في باكستان – أبها دكسبت – مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – العدد (٩) صـ٣٨.

٣- إقليم خيبر بختونخوا (الحدود الشمالية الغربية) ويقطنه البشتون وسكانه أحسن حالًا من البلوشين والسنديين مع أنهم يمثلون ١٢% من عدد السكان إلا أن نصيبهم من الوظائف في القوات الجوية الباكستانية تصل إلى ٢٠%، وشهد الإقليم في بعض فتراته العديد من الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي خاصة عام ١٩٧٣ بعد إقالة حكومة الائتلاف بين حزبي عوامي وطن وجماعة علماء الإسلام من قبل الحكومة المركزية [١].

- خاصة وأنه تم تشكيل حكومة من حزب الشعب وهنا ثارت ثائرة الناس فمن حكم يرونه أقرب إلى الإسلام، من كونه حكومة علمانية، ورأى البعض أن هذه الأزمات كشفت خطأ الحكومة المركزية في قراءة الواقع المجتمعي وكان من نتائج هذا أن أسقط الإقليم حكومة بوتو بعد ذلك [٢].

٤- القومية البلوشية:

تتوزع بين ثلاث دول وهي (باكستان – إيران – أفغانستان) خاض البلوش نضالًا وكفاحًا كبيرًا لاستقلالهم بحكم ذاتي حفاظًا على هويتهم وثقافتهم في باكستان وإيران كذلك، لكن المؤسف هو حمل هذه الجماعات البلوشية السلاح، ففي الإقليم تنشط طالبان باكستان، وكذا الجماعات التي تمارس العنف ضد الحكومة الأفغانية والقوات الدولية فيها[٣]:

- ويتشكل الوعي البلوشي من موروثات ثقافية وتاريخية، وهم مسلمون سنة أحناف المذهب، فيهم الكثير من الصوفية الذكرية، ودائمًا تراود البلوش أحلام الانفصال كما كان في ١٩٧٠ [٤].

- تطورت القضية البلوشية وسط معاناة القبائل هناك بسبب توطين البدو، وارتفاع سكان المناطق الحضرية، والإصلاحات في الأراضي الزراعية التي

---

(١) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة صـ٢٥٣- ٢٥٤ مرجع سابق.

(٢) انظر المرجع السابق صـ٢٥٥.

(٣) انظر: القومية البلوشية – أصولها وتطورها – ترجمة وتعليق أحمد يعقوب – نشر ملخص الكتاب مركز الجزيرة للدراسات سبتمبر ٢٠١٣ قام بالتلخيص إبراهيم غرابية.

(٤) المرجع السابق صـ٥.

بدأت الحكومة المركزية فيها، وكل هذا أدى إلى تغيير ثقافي مما دفعهم إلى التركيز على الحملات الصحفية والكتب والدوريات لإحياء القومية البلوشية والمحافظة عليها، والمطالبة بحكم ذاتي خاصة بعد انفصال الجزء الشرقي في باكستان، ولكن ردت عليهم الحكومة وقتها ردًا أفشل أحلامهم(١).

- استغل أعداء باكستان القومية البلوشية للضغط بهم على باكستان، فكان الدعم الكبير من الروس للبلوش، وكذا من الهند التي تقدم معسكرات التدريب والتسليح لقبائل البلوش(٢).

- وللإقليم ارتباط عرقي وجغرافي وثيق مع أفغانستان وإيران وهذا أحد أهم الأسباب التي جعلت البلوش ينادون بالانفصال لتجميع البلوش من أفغانستان وإيران في (بلوشستان الكبرى) فأسسوا الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان مما أدى إلى الصدام الشديد مع الحكومة المركزية(٣).

***

المطلب الرابع
التعددية اللغوية في باكستان

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢] واختلاف اللغات واللهجات هذا مُشاهد من العربية إلى الفارسية إلى الإنجليزية إلى التركية إلى الهندية إلى الأوردية إلى البنجالية وغيرها كثير، ومراعاة لهذه السنة الكونية الربانية في عباده أرسل الله الرسل كلٌ بلسان قومه ليبين لهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم:٤].

---

(١) انظر: القومية البلوشية أصولها وتطورها – عرض إبراهيم غرابية صـ٨ مرجع سابق.

(٢) انظر: تقرير عن (بلوشتان المشتبه بين باكستان وإيران وأفغانستان) عمران فيروز، ترجمة رائد إلياس– منشور بموقع فنظرة على شبكة الانترنت ٢٠١٥ Ar.quntara.de

(٣) انظر: التكوين القومي لباكستان صـ١٨٤ مرجع سابق.

فالتعددية والتنوع اللغوي أمر واقع في باكستان حيث تتنوع وتتعدد اللغـات واللهجات، ولكن هناك الأمر يختلف عن بقية العالم، فهناك يضـيق الـبعض ذرعًا بلغة الآخر، أو يتعصب كلٌ إلى لغته، فيحاول فرضها على غيره.

– منذ انفصال باكستان والانقسامات الثقافية تزداد مع ما فيها مـن تنـوع لغوي، خاصة مع أول خطاب لمحمد علي جناح عندما أعلـن فيـه أن لغـة باكستان ستكون الأوردية، إلا أن هذا الطرح قوبل باستنكار وأعمـال عنـف كبيرة خاصة في باكستان الشرقية، كانت سببًا في القضاء على الأمل في لغة واحدة للوطن، وهذا يتأكد إذا علمنا أن ٥٥% من السكان يتكلمون البنغالية، ٢٨% يتحدثون بالبنجابية، ٧% أوردية [١].

– في عام ١٩٧٢ أعلن بوتو اعتماد السندية لغة في الإقليم مع كونه يضـم العديد من الأعراق والثقافات واللغات، وهدأت مشكلة اللغة كثيرًا بعد انفصال باكستان الشرقية عام ١٩٧١ [٢].

– والإسلام قدر تمامًا هذا التنوع الثقافي ووسع الجميع، فلا يفـرض علـى الناس لغة ولا ثقافة في ملبس أو مطعم أو أعرافهم، فالناس لهم الحرية في ثقافتهم وتقاليدهم وأعرافهم وعاداتهم ولغاتهم، إلا ما يتعلق بالعقائد والقـيم في كل ما سبق، وخاصة مع المسلمين [٣].

– بقاء الأمم وحضارات الدول تبدأ بالدمج والاسـتيعاب، دون تهمـيش أو إقصاء هادئ أو عنيف، فكل غبن أو قسر أو محو لثقافـات الآخـرين أمـر يرفضه الإسلام، لأن فيه إنكار لخيار الإنسان سواء في ثقافتـه أو عقيدتـه ودينه، أو عاداته وتقاليده.

***

---

(١) انظر: باكستان دراسة في نشأة الدولة – صـ٢٥٨ – ٢٥٩ سابق.

(٢) المرجع السابق صـ٢٥٩.

(٣) انظر: الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام صـ٤٢ مرجع سابق.

المطلب الخامس
التعددية وواقعها ونتائجها سلبًا أو إيجابا

توطئة : تعيش الإنسانية كلها على تنوعها واختلاف مشاربها ضمن حياة مشتركة، ومصالح متداخلة، لا فكاك من التعامل والتوافق والتكامل ففي باكستان وهي نقطة البحث يعيش المسلمون بمشاربهم وثقافتهم وعرقيتهم ومذاهبهم، فالصف المسلم فيه السنة والشيعة، وفي إطار الدولة تجمع بينهما جنبًا إلى جنب أقليات دينية كالهندوسية، والمسيحية، والسيخية، وغيرها، وفي الداخل السني عشرات بل مئات الفرق والجماعات والمنظمات وصلاح هذا التنوع لن يكون إلا بالتعايش.

أولا : التنوع والتعددية حقيقة واقعة

أعظم ما في حياة الإنسان هو الدين، الذي يحيى ويوقظ الوازع الديني أو الضمير في نفس الإنسان، وبالدين يقيم الإنسان أوثق الروابط الاجتماعية مع أخيه الإنسان والتي في ظلها يتجاوز اللون والدم واللغة والإقليم والعرق، ومع كل هذا فاختلاف الدين حقيقة واقعة.

- اختلاف الدين، وتعدد الأديان واقع مشاهد، بل هو ضرورة بين البشر الذين خلقهم الله ومنحهم العقل والإرادة، ليختاروا ، ولو شاء الله لجعلهم كالملائكة لا يعصونه لفعل ولكن مشيئته سبحانه لهم هي التنوع ففي قوله ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود:١١٨- ١١٩] فهذا الاختلاف بمقتضى خلقه سبحانه ومشيئته قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن:٢]، والمسلمون وغير المسلمين مشارب وألوان متعددة فما هو واقع هذا التعدد بين مكونات المجتمع الباكستاني.

أولا: التعددية الدينية في الدولة

تشهد باكستان على أراضيها ديانات سماوية ووضعية متعددة فالإسلام دين الدولة والتي قامت من أجله، وهناك أقليات من المسيحيين والهندوس، والسيخ هؤلاء هم الأبرز ولكن لا يمنع وجود أقليات غيرهم ولكنهم لا يظهرون أنفسهم ولا عقائدهم في العلن.

- والعلاقة بين هذه الأديان السابقة إنما هي علاقة حوار لا صراع مع العامة

وخاصة مع أهل الكتاب لقول الله ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

- ومقتضى التعددية الدينية الاعتراف بالحرية الدينية، أن يكون لكل إنسان دينه الذي اختاره بإرادته أو عن طريق التلقين والتعود في صغره وهذه الحرية الدينية كفلها الإسلام للجميع تتمثل في:

١- حرية الاعتقاد قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، وقال ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ونفى الإكراه هنا معلل بعلة لا يقبل النسخ وهي ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾.

(٢) حرية ممارسة الشعائر والتعبد والواجبات الدينية.

كفل الإسلام للتعددية الدينية ممارسة طقوسهم وشعائرهم كل حسب دينه، فلا يضيق عليهم، في شيء من شعائر دينهم ولا من مأموراته في مأكل أو مشرب أو ملبس، وخاصة غير المسلمين الذين من حقهم ألا يضيق عليهم فيما أحله دينهم وإن حرمة الإسلام فالخمر ولحم الخنزير محرم في الإسلام، لكنه عند المسيحيين حلال فلا حرج عليهم، ولا يمنعون من تربية الخنازير(١).

٣- لهذه الأقليات حق الاحتكام إلى شرائعها في أحوالهم، الشخصية، كالزواج والطلاق وشؤون الأسرة، أما الأحكام المدنية الجنائية فعليهم ما على الأغلبية.

موقف الإسلام من غير المسلمين:

غير المسلمين إما أصحاب دين سماوي، أو ديانات وضعية وثنية.

١- الديانات الوضعية من عبَّاد الأوثان، والمجوس عبَّاد النار، والصابئين عباد الكواكب.

٢- الديانات السماوية أو الكتابية كاليهود والنصارى وهم الذين سماهم

---

(١) انظر الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام - يوسف القرضاوي صـ١١: ١٦ مرجع سابق.

القرآن الكريم أهل الكتاب تلطفًا بهم وإيناسًا لهم، وهؤلاء لهم معاملة خاصة في الإسلام، من حل مؤاكلتهم، ومصاهرتهم والتزوج منهم قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

ولا تجد في قيمة السماحة مع المخالف لنا في الدين أوجد ولا أوسع مما وجدناه في شريعتنا، وهنا التساؤل ألا يدرك هذا من يفسدون النسيج المجتمعي في باكستان من المتشددين، الذين لا يقبلون الآخر فأقل درجات التسامح أن تترك لمخالفك حرية دينه وعقيدته وأوسط التسامح ألا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه، أو يفعل أمر يعتقد حرمته، فمثلًا المسيحي يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، فلا يجوز منعه ذلك اليوم من الذهاب، ومن أعلى درجات التسامح بعد حرية الاعتقاد والدين ألا تضيق على مخالفيك في الدين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم، وإن كان حرامًا في دينك ومذهبك [(١)].

ثانيًا: التنوع داخل المذهب الواحد

لو تحدثنا عن التنوع في الصف الإسلامي وتحديدًا السنة منه لوجدناه مليء بالفرق والجماعات والأحزاب وإن كان يجمعهم أنهم أحناف المذهب، وهذا التجمع داخل المذهب الواحد والدين الواحد يبدو ومع غلبة النظرة المنفعية الشخصية على الرؤية العامة والصالح العام تناسى في خضم ذلك القواسم المشتركة فيما بينه من وحدة الأمة، والملة، والرسالة والرسول، والقرآن، والقبلة، فانقسموا فرقًا وجماعات ومنظمات منها الدعوى ومنها المسلح عسكريًا، منها المعتدل ومنها المتطرف.

والمؤسف أن العلاقة فيما بينهم تفتقد إلى أهم الأسس الإسلامية في التعاملات الإسلامية بين المسلم وأخيه، هذا فضلًا عن رؤيتهم وتعاملهم مع غير المسلمين.

---

(١) انظر: الأقليات الدينية والحل الإسلامي – يوسف القرضاوي – مكتبة وهبه – ط (١) سنة ١٩٩٦ القاهرة صـ٣٤.

- وبما أن التنوع واقع ومشاهد في باكستان داخل الدولة مسلمين وغير مسلمين وداخل الدين سنه، وشيعة، وداخل المذهب تعددية داخل الصف السني وكذا الشيعي، وللأسف تفتقد إلى التعايش والتسامح فيما بينها إلا ما ندر منها، وأمام هذه الحالة وعملًا بقبول هذا التنوع وهذه التعددية ، في تعايش وسماحة مع بعضها البعض هنا يكون التساؤل.

- هل يصلح التعدد المذهبي مدخلًا لتعدد الفرق والجماعات والحركات الإسلامية؟ وما هو ميدان التعددية المشروعة والتنوع المقبول ؟

- التنوع والتعدد المشروع والمقبول هو تعدد الأفكار وتلاقحها وتلاحقها، وتنوع السياسات، أما التنوع والتعدد على أساس عنصري أو طبقي أو عصبية فالإسلام يبرأ منه.

وتعدد الأحزاب والفرق والجماعات في باكستان أشبه ما تكون بتعدد المذاهب في الفقه الإسلامي مع الاختلاف، فإذا كان المذهب الفقهي مدرسة لها أصولها في فهم الشريعة والاستنباط من الأدلة فهو أشبه بمدرسة فكرية التقى أصحابها على هذه الأصول وكذا الحزب أو الجماعة مجموعة لها فلسفتها وأصول مناهجها المستمدة من الإسلام، وأتباعه يؤيدونه لما يرونه فيه من صواب (١).

- والتنوع والتعدد لا يعني التفرق، والاختلاف، وليس كل الاختلاف شر، بل اختلف الصحابة في صلاة العصر في بني قريظة، فالاختلاف منه المحمود وهو اختلاف التنوع، ومنه المذموم وهو واختلاف التضاد (٢).

وهذا التنوع الزاخر في باكستان بأعداد كبيرة من الفرق والجماعات وراء تواجده ما كان وراء تعدد المذاهب الفقهية ألا وهو (ظنية الدلالة، وتفاوت المدارك) (٣) يضاف إلى أسباب تعدد الجماعات والفرق المصالح الشخصية والزعامات الفارغة وتحقيق المكاسب المتنوعة.

---

(١) الحرية والدينية والتعددية في نظر الإسلام صـ٤٧-٤٨ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحات .

(٣) انظر مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي – صلاح الصاوي صـ٢٢٨.

ثالثا : إيجابيات التنوع وسلبياته

التنوع والتعدد ثبت أنه أمر كوني وواقع معاش مؤيد بالقرآن والسنة وليس كله خيرًا وليس كله شرًا، ومع إيماني بالتعددية والتنوع إلا أن هناك من السلبيات المتعلقة بأهل التنوع، وأبدأ أولًا بإيجابيات التعدد والتنوع.

أولا: إيجابيات التنوع والتعددية

لاشك أن التعددية والتنوع ، وقبوله ، من الآخر يمثل تعددًا في الرؤى والأشكال وأنماط الحياة، وهذا يمثل تعزيزًا وإغناءً للمعرفة، وقوة وتوافقًا مجتمعيًا كبيرًا، لأن الثقافات المختلفة والمناهج والشرائع والأديان كل ذلك يهدف إلى تهذيب السلوك الاجتماعي للإنسان وتربيته وتغذيته روحيًا وقيميًا، لذلك أرى أن إيجابيات التعددية والتنوع تتمثل في الآتي:

١- التعددية والتنوع نتاج التمايز في الثقافات والإدراك للنص والواقع ، لذا لا غناء لهما عن أهم إيجابياتها وهو التعارف والتواصل لتحقيق الإثراء الحضاري والفكري والتناغم المجتمعي، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] .

والتنوع والتعددية سبيل للانفتاح على الآخر والتعرف على خصوصياته ومميزاته لتحقيق الإثراء والتكامل والاستفادة من الآخر وفق إطار التقدير والاحترام المتبادل [(١)].

٢- التعاون في القواسم المشتركة وتحقيق الأهداف المجتمعية ، والتعددية تمثل التعاون الحقيقي بين الجميع لتحقيق نهضة مجتمعية شاملة : قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ ﴾ [المائدة:٢].

لأن هدف الأهداف لجميع فصائل وألوان التعددية هو مرضاة الله تعالى ومصلحة المجتمع.

٣- الاحتواء واستيعاب كل شرائح المجتمع على اختلاف أفكارهم وعقائدهم ووسائلهم، لا سيما أنه لا يمكن لفصيل أن يستوعب جميع أفراد المجتمع

---

(١) انظر: بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية صـ٤٤-٤٥ سابق.

على اختلاف مشاربهم واجتهاداتهم، ولا أن يفرض فكره عليهم ، لذلك كـان من إيجابيات التنوع إعطاء الفرصة والمجال للجميع أن يعمل لتحقيق الصالح العام وفق رؤيته التي يجب أن تصب في الصالح العام [1].

٤- الهمة العالية وبذل الجهد دون عقبات

لا سيما وأن التنوع يفسح المجال أمام جميع أبناء الدولة ليقدموا أحسن مـا لديهم كل في تخصصه الذي يحسنه.

٥- التطوير والتجديد في مسيرة الإصلاح المجتمعي بما يناسب إمكانيات كل فصيل واتجاهٍ وفكرٍ، حيث لا كمال في الفكر البشري، فالثغرات فيه متعـددة، وعندما تتقارب الفصائل والحركات والأديان، ويتبادلون الخبرات لاشـك أن الاستفادة تتم والخير يعم الجميع.

٦- التنافس الإيجابي وانعكاسه على عموم المجتمع.

فالرغبة البشرية في تعزيز المكانة والموقع حافز للجميع لإثبات ذاته ، وهذا يتم من خلال صورتين الأولى : العمل على إضعاف الآخـر، وتـدمير نقـاط ضعفه، وإعاقة تقدمه، وهذا هو منهج الصراع والنزاع والإقصـاء المنهـي عنه.

والثانية: بالتركيز على تقوية الذات، وتنمية قدراتها، وهذا هو منهج التعددية والتنوع التكاملي والإيجابي البنّاء، قال الله تعالى في إشارة إلى هذا التعدد والتنوع الإيجابي البنّاء: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨].

وفي الآية السابقة عدة نقاط غاية الأهمية:

(أ) لكل أمة ممارستها الحياتية المادية والروحية المختلفة، عن غيرها.

(ب) الاختلاف الإنساني فطري نابع من خلقة البشرية.

---

(١) انظر: وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع – د . محمد أبو الفتح البيـانوني – نشر جماعة الهدى الإسلامية – عمان – الأردن – طبعة (٤) سنة ١٩٩٤ صـ٦٦-٦٧.

(جـ) الاختلاف نافع لأنه يدعو إلى التنافس والتسارع إلى الخيرات بسعي كل طائفة وجماعة إلى العيش بأفضل أنظمة الحياة.

(د) لا ينبغي أن يكون الاختلاف مسوغًا لإقصاء الآخر، بل ينبغي أن يكون بابًا وسبيلًا إلى التنافس الإيجابي والتكامل: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٧- تحقيق الاستقرار والقوة بين أطياف المجتمع، حيث إنّ فكرة وجود الإله هي نقطة الالتقاء بين جميع الأديان والمذاهب، قد توجد جماعة بلا حضارة ولكن لا توجد جماعة بلا دين حقًا كان أو باطلًا، ومن ثم فيمكن العمل المجتمعي وفق هذا القاسم المشترك ودون ثقافة الإقصاء للآخر وهي الطارئة على الحياة البشرية [(١)].

ثانيًا: سلبيات التعددية والتنوع

١- التعصب المذموم وطغيان المصلحة الحزبية وتغليب المصالح القاصرة على الأتباع على المصلحة المجتمعية العامة، فكثيرٌ من أبناء النوع والتعددية في باكستان ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أهل الحق وجماعة المسلمين دون غيرهم، وأنهم أوصياء على الأمة ومسئولون عنها، والمتحدثون باسمها وجعلوا أنفسهم قضاة على الناس لا دعاة[(٢)].

٢- تغليب الولاء للأشخاص والقيادات على الولاء للدعوة والصالح العام وهذا واضح في باكستان حيث يصل الحال إلى تقديس الزعماء والدعاة في بعض الفرق والجماعات.

٣- التفاخر بالقوة والعدد والكم دون الكيف وهذا واضح في تجمعات الفرق والجماعات في باكستان وتفاخرهم بأعدادهم المليونية التي يدعون إليها في

---

(١) انظر: التعددية الدينية رؤية نقدية – محروس محمد محروس – صـ٤٥١-٤٥٢ مرجع سابق.

(٢) انظر: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة – عمر عبيد حسنة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأول سنة ١٩٩١ صـ١٢٦.

تظاهراتهم ضد الحكومة، أو فيما يرونه نفعًا لهم.

٤- عموم الفكر الإقصائي، والذي أصبح أصلًا هناك، ومن ثم غياب التنسيق بين فصائل المجتمع وانتشار ثقافة الكراهية بينهم مما يكون له انعكاساته على الصالح العام للمجتمع.

٥- تمكن الحيرة والاضطراب من كثير من المسلمين بسبب ما يرونه من تعددية وتنوع وخاصة داخل الدين الواحد، بل والمذهب الواحد، فيتوهم الناس أن هناك إسلامًا متجددًا ومتعددًا، واتجاهات متضاربة لا سيما إذا فقد أهل التنوع والتعدد الاحترام المتبادل، مما يؤدي بالناس إلى سياسة العزلة والابتعاد عن الجميع [١].

هذه السلبيات وغيرها كثير كفيلة بعدم استقرار المجتمع وللأسف هذا هو الواقع الباكستاني، عداء وكراهية وإقصاء واستعلاء، كل ذلك سرطان ينخر في كيان الدولة، وهذه السلبيات وغيرها لن تغير أن الأصل الكوني والفطري هو التعددية والتنوع، وإنما تؤكد هذه السلبيات أن العيب والقصور في أتباع وأبناء وقادة هذا التنوع، ويمكن معالجته بلا شك وهذا ما سيكون في المطلب القادم.

***

المطلب السادس

الرؤية الإسلامية التوافقية لعلاج سلبيات التعددية والتنوع

- لما كثرت أسباب الاختلاف والتنوع كالاختلاف في أصل النحلة والدين وتعيين الإله المعبود، واتباع الهوى، والعصبية المذمومة، والجهل بمقاصد الشريعة، وما ترتب عليها من غلو في الدين، وغلو في التعامل بين أهل التنوع، والنظرة الإقصائية، والتطاول على العلماء المعتبرين ، لذا كان على أهل التنوع من أصحاب الديانات المختلفة في باكستان، أو أصحاب المشارب والاتجاهات المتعددة في دائرة الإسلام أن يعلوا من شأن القواسم المشتركة بينهم وأهمها الوطن الذي يجمعهم ويعيشون على أرضه وأن يحققوا الآتي كل حسب فكره ومعتقده ومذهبه.

---

(١) انظر: وحده العمل الإسلامي بين الأمل والواقع – صـ٧٤ مرجع سابق.

١- الإخلاص لله تعالى وذلك مطلوب من الجميع خاصة أهل التنوع من المسلمين، فبالإخلاص لله وحده يكون التجرد لقضايا الإسلام والمسلمين وتغليب الصالح العام على الصالح الخاص، والعمل المنتج على العمل القاصر ومن ثم ستتلاشى في ظله القوميات والعصبيات لعرق أو لسان أو قبيلة.

٢- إحياء مفهوم الأمة بدل الجماعة أو الحزب لتجنب التمحور حول الذات والفرقة وكراهية الآخرين [١] وإشاعة أجواء التعايش والتسامح.

٣- التخلص من النظرة الاستعلائية والكبر عند الفصائل المتنوعة واعتقادها بأنها صاحبة الحق ومالكته الأصلية، مما يترتب عليه تجاهل أوجه النقص فيها، ورفض النقد من الآخرين، لإحساسهم بالفوقية والاستعلاء ، ويرفضون الحوار مع الآخرين خاصة إذا كان من غير المسلمين.

٤- على أهل التنوع النظر ببالغ الأهمية إلى فقه الواقع وموازناته، وفقه الأولويات وترتيباته، وما يوجبه ذلك من مراعاة «الموازنة بين المصالح والمفاسد» وهذه القاعدة هي مفتاح الرشد في التعامل مع الواقع المعاصر بكل متناقضاته وعلله، وهي سبيل إلى فتح آفاق التعاون مع الآخر [٢].

٥- التنوع والتعدد الديني واقع لا يمكن تجاهله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] وصاحب الفكر والمعتقد هدفه الأساس الدعوة إلى فكرته فيجب أن يكون هذا بالحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين، لا بالعنف والقسوة وإقصاء الآخر والاكتفاء بموروثاته العقدية والفكرية، بل يجب أن تسود لغة الحوار، إذ الأصل في التنوع التعايش والتكامل لا الصراع والتهاوش.

٦- الاتفاق على الكليات والثوابت القطعية، والتغافر في مواضع الاجتهاد والإعذار فيها والإبقاء على روح الألفة والتعايش والأخوة الإسلامية بين المسلمين وبعضهم، والتعايش والأخوة الإنسانية بين المسلمين وغيرهم من غير المسلمين [٣].

---

(١) انظر: التعددية الدعوية صـ٢٠٠ مراجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق صـ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي – بتصرف كبير – صـ٢٣٤.

٧- الانطلاق والاندماج مع الآخر، فالانكفاء على الذات أحد أهم عوامل الضعف الفكري الذي يعاني منه أغلب مكونات التنوع في باكستان.
٨- ضرورة تفهم مقتضيات ثقافة الآخر وفكره وموروثاته من عادات وتقاليد، والتعامل مع الآخر وخاصة غير المسلمين في باكستان بالعدل والحق، واللجوء دومًا إلى الحوار وليس العنف.

***

مجتمع التعددية والتنوع والنموذج

قد يظن البعض استحالة التعايش بين ألوان الطيف الديني أو المذهبي أو السياسي، وهذا ظن واهم لا أصل له في ديننا وإن ظهر أصلٌ له في الواقع التعددي في باكستان وغيرها من المجتمعات، وأكرر كثيرًا أن العيب ليس في التنوع ولا التعددية الفطرية المتعايشة، إنما العيب فيمن يمارسون هذا التنوع من عقم الفهم والإدراك ، والدليل على المجتمع المثالي في تعايشه وسماحته، منا كان مجتمع المدينة لذلك على من يخلقون الصراعات الدينية والمذهبية والمجتمعية أن يعودوا إلى تاريخنا وتراثنا الإسلامي ليستلهموا منه روح التسامح والتعايش المشترك داخل حدود الوطن ومصالحه العليا.

- في وثيقة المدينة وضعت ركائز وأسس التعايش الإيجابي لأبناء المجتمع الواحد المتنوع والمختلف دينيًا وعقديًا، اعترفت هذه الوثيقة بغير المسلمين كمواطنين وأعضاء في المجتمع الإسلامي، وحددت الواجبات عليهم، وأظهرت وأقرت حقوقهم.

- في وثيقة أو (صحيفة المدينة) «أن يهود بني عوف أو يهود بني النجار ويهود بني ساعدة، ويهود بني الأوس، ويهود بني ثعلبة، مع المؤمنين أمة، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وبينهم النصح والنصيحة، والبر دون إثم وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج منهم فهو آمن، ومن قعد بالمدينة فهو آمن إلا من ظلم أو أثم» [(١)].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام – أبي محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق محمد

- كلمات هذه الصحيفة صنعت حضارة، وهي التعبير الحقيقي عن الإسلام وسماحته ورقيه وقبوله الآخر في تعايش بديع، كلمات رقراقة من ذهب تعبر عن سماحة رسول الله وانصافه للآخر، فأين من يتخذونه قدوة وينشرون أجواء الاقصاء والإرهاب والعنف في باكستان.

- تضمنت هذه الوثيقة كل ما من شأنه أن يوفر الأمن المجتمعي والتراحم والاعتراف بالآخر، والنصيحة، وحفظ العهود والمواثيق، وأن لغير المسلمين ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، ألَا يتوقف دعاة الكراهية ورفض الآخر أمام قول النبي ه: «لليهود دينهم» قبل أن يقول «للمسلمين دينهم» [(١)].

- وهذا التسامح الديني ليس مجرد تحمل سلبي للآخر، بل هو نوع من الهدنة الفكرية التي تتيح الإحجام عن كل ما يعكر الصفو، والعمل لإيجاد حلول علمية عملية، فهو تسامح يقوم على العلم والمعرفة، تسامح يقوم على الاحترام الواجب للآخر مسلمًا كان أو غير مسلم[(٢)].

- وفي إطار التعايش بين المسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى أوجب الإسلام حماية غير المسلمين خاصة أهل الكتاب وأهل الذمة في المجتمع الإسلامي – من الظلم فقال رسول الله: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» [(٣)].

فقي السرحان – المكتبة التوفيقية القاهرة – طبعة (١) (٢/٦٤ : ٦٥).

(١) انظر: التعايش السلمي للأديان وفقه العيش المشترك – صـ٩-١٠ مرجع سابق.

(٢) انظر الإسلام والمسيحية وإمكانات التفاهم والتعاون بين الجانبين – د. محمود حمدي زقزوق – وزير الأوقاف المصري الأسبق – طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ٢٠٠٥ صـ١١: ١٢.

(٣) رواه أبو داود كتاب الإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات (جـ٣/ ١٧١).

وقال ﷺ: «من قتل معاهد لم يرح رائحة الجنة...» [١].

- في المجتمع المدني النموذج الفريد في التعايش والتسامح استوعبت قيم الإسلام ومفاهيمه الإنسانية كلها على اختلاف الديانات والأعراق واللهجات فمع بداية الإسلام كانت الصفوة الأولى أعراقًا متنوعة، لكنها تلاقت وتعايشت وتبادلت الخبرات .

- فمن فارس سلمان الفارسي ودوره في الدفاع عن وطنه ودولته من هجوم الأحزاب، ومن بعد رأيه في حفر الخندق تنافس الناس فيه، فقال المهاجرون سلمان منا، وقال الأنصار سلمان منا، فعلم رسول الله بقولهم فقال: «سلمان منا أهل البيت» [٢]، ومن الحبشة بلال بن رباح ط، عالمية الإسلام التي لم تفرق بين الناس على أساس العرق أو القومية أو اللون جعلت من بلال رمزًا يصيح بالحق ومن فوق الكعبة رفعة لقدره وقدر الأذان، ومن الروم جاء صهيب الرومي الذي ضحى بماله كله رخيصًا في سبيل الله وإعلاء لراية وطنه، وإقامة صرحه[٣].

- إن قيم الإسلام وسمو تشريعاته، وإنسانيتها هي من اجتذبت هؤلاء الرجال من أعراق وقوميات مختلفة، فالإسلام بعظمته يحتضن القوميات والشعوب المختلفة بالتداخل والاندماج والزواج لتجاوز حواجز القومية والقبلية [٤].

- هذا هو المجتمع المثالي الذي تعايش فيه الجميع وفق قيم الأخوة والتسامح والعمل لدينهم وأمتهم، انصهر الجميع في بوتقة واحدة جمعت المهاجرين والأنصار، وأذابت ما بين الأوس والخزرج من احتراب وعداوة، ثم عاش في ظل هؤلاء النصارى واليهود قبل أن يخونوا ويغدروا ومن هنا أقول:

- إن التنوع الديني والاجتماعي في باكستان يحتاج إلى تفعيل المنظومة

---

(١) رواه البخاري – كتاب الديات – باب اثم من قتل ذميًا – (جـ٤/١٩٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥٩٨/٣)، والطبراني حديث (٢٦١/٦).

(٣) انظر: التنوع والتعايش – بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية صـ٦٨-٧٣.

(٤) المرجع السابق صـ٧٦.

القيمية الإسلامية ليؤمن بالتنوع الحضاري والتعددية الفكرية والدينية، وعلى إثرها ينطلق للعيش المشترك الفعَّال والإيجابي لخدمة بلاده، وينبغي التأكيد على أن التعايش هو صميم رسالة الإسلام وجميع الأديان السماوية والوضعية حتى لا يستغل الجهلاء الدين لمصالحهم السياسية وأطماعهم المخفية، فيحدثون القتل والدمار باسم الدين، وتحت صيحات التكبير.

- وعلى ألوان الطيف الديني والسياسي دراسة مجتمع المدينة المنورة وأسس قيامه ثم يحققوا الاقتداء به، وأهم ما ينبغي أن يبدأوا به هو التسامح والتراحم وعدم الاستعلاء إزاء الآخرين، فلابد أن يكون هناك احترام متبادل، وليس كما ترى عنفًا واستعلاء وتكفيرًا للآخر، وممارسة ضغوط على الحكومات في باكستان باسم الدين، وفي الحوار عوض عن هذا كله بين المسلمين المختلفين وبعضهم البعض، وبين المسلمين والأقليات غير المسلمة في باكستان والتي تعانى من اضطهاد كبير.

وأعتقد أن بعد هذا البيان يمكن القول بأن الحالة الدينية بحركاتها المتعددة إذا التزمت بتلك المبادئ السامية لتعميق وحدة الصف والنهوض بمجتمعها، وإحياء الإسلام السمح في مجالات الحياة العلمية والأخلاقية والتربوية والسياسية فعندئذ يمكن قبولها وإعانتها.

- لكن إذا وجد النزاع والتشرذم والانشقاق والاقتتال على توافه الأمور فهنا لا بد من وقفة لتصحح هذه الحركات مسيرها؛ لأن جو التشاحن والتلاسن والتخوين، والاستعلاء والصراع الفكي وصراع المصالح يؤدي بالبلد إلى الهاوية [1] والله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الآية الكريمة وضحت ركنين أساسيين للوحدة بين المسلمين وهما الاعتصام بحبل الله والركن الثاني التآلف والاتحاد بين جميع أفراد المجتمع المسلم.

ولا شك أن اليد الواحدة لا تصفق، والعود الواحد يسهل كسره، وهو في الحزمة مع غيره يتعذر كسره، كما أن بقاء الفرد وحده ليس هو الأصل في

---

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي – محمد الحسن صـ١١ مرجع سابق.

الحياة.

ولذلك يقول رسول الله ﻫ : «يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» [١].

ومما تقدم يتبين أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه إذا اجتمع معهم واتحدوا جميعًا على قلب رجل واحد.

لذلك على التنوع الباكستاني في مجالات الحياة السياسية والدينية أن يوحد صفه ويضع نصب عينيه الصالح العام الباكستاني ويكفيه سنوات من التحارب والتدابر والفرقة التي جلبت لباكستان تخلفًا عن نظيرتها التي انفصلت عنها (الهند).

***

(١) رواه الترمذي في سننه (٦/٣٣٤) باب لزوم الجماعة، وقال حسن غريب.

المراجع

١. احذروا الإيدز الحركي – فتحي يكن- مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة (٤) سنة ١٩٩٣.
٢. الإسلام والتعددية – د. محمد عمارة – دار الرشاد- القاهرة – طبعة (١) سنة ١٩٩٧.
٣. الإسلام والمسيحية وإمكانات التفاهم والتعاون بين الجانبين – د. محمود حمدي زقزوق – وزير الأوقاف المصري الأسبق – طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ٢٠٠٥.
٤. الأصول المعرفية للتعددية في المصادر الإسلامية القرآن الكريم – حسان عبد الله بحث منشور بموقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٧ islamontine.net
٥. باكستان دراسة في نشأة الدولة وتطور التجربة الديمقراطية . ستار جبار علاوي – دار الجنان – عمان الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢.
٦. التعددية الحزبية في باكستان – دراسة في ضوء التطورات الدستورية- مجلة العلوم السياسية كلية العلوم السياسية جامعة بغداد العدد (١) سنة ١٩٩٤.
٧. التعددية السياسية من منظور إسلامي – محمد سليم العوا ـ بدون ، طبعة.
٨. تقرير عن (بلوشتان المشتبه بين باكستان وإيران وأفغانستان) عمران فيروز، ترجمة رائد إلياس- منشور بموقع فنظرة على شبكة الانترنت Ar.quntara.de ٢٠١٥
٩. التنوع والتعايش – بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية – حسن الصفار- دار الساقي – بيروت- لبنان طبعة أولى سنة ١٩٩٩.
١٠. جمهورية باكستان الإسلامية – الأطلس الأسيوي – جلال السعيد الحفناوي والمحرران محمد السيد سليم، ورجاء إبراهيم سليم – مركز الدراسات الأسيوية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٣.
١١. جمهورية باكستان دراسة في الجغرافيا – د. عبد الزهرة شلش –

حولية كلية التربية الأساسية- الجامعة المستنصرية – بغداد العراق – العدد (٥١) ســ٢٠٠٧.
١٢. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية – الشيخ بكر أبو زيد – مطابع الدرعية – الطبعة الأولى ١٤١٠ هــ.
١٣. دراسات في الاختلافات الفقهية – محمد أبو الفــتح البيــانوني – دار السلام للطباعة والنشر طبعة (٣) سنة ١٩٨٥.
١٤. الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي – على حســن بن علي عبد الحميد – مكتبة الصحابة – جدة ، ومكتبة التابعين – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢ .
١٥. الرحيق المختوم – صفي الدين المباركفوري- دار الهلال – بيروت – لبنان ط (١).
١٦. سكان العالم الإسلامي – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة – بيــروت ١٩٨٨ .
١٧. سياسة باكستان الإقليمية – هاني الحديث – مركز دراسات الوحــدة العربية- بيروت – سنة١٩٩٨ .
١٨. السيرة النبوية لابن هشام – أبي محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق محمد فقي السرحان – المكتبة التوفيقية القاهرة – طبعة (١).
١٩. صحيفة الشرق الأوسط – مقال باكستان الوجه الآخر لجماعة الدعوة ١١ يوليو سنة ٢٠١٦.
٢٠. الطريق إلى جماعة المسلمين – حسين بن محسن بن علي بن جــابر – دار الدعوة – الكويت ط(١) سنة ١٩٨٤.
٢١. القومية البلوشية – أصولها وتطورها – ترجمة وتعليق أحمد يعقوب – نشر ملخص الكتاب مركــز الجزيــرة للدراســات ســبتمبر ٢٠١٣ قــام بالتلخيص إبراهيم غرابية.
٢٢. كشف اصطلاحات الفنون – للقاضي محمد على التهــانوني – نشــر سهيل أكاديمي – لاهور باكستان طبعة أولى سنة ١٩٩٣.
٢٣. مجلة اللواء الإسلامي – الصادرة عن دار التحرير للنشر – مصــر – العدد (١٠١٦).

٢٤. المدخل إلى علم الدعوة – محمد أبو الفتح البيانوني – الطبعة الأولى سنة ١٩٩١ مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.
٢٥. المذاهب والأفكار المعاصرة في التطور الإسلامي – محمد الحسن – دار البشير طنطا ١٩٩٨ط (٤) وسيأتي تناول هذه الجماعات في مقامه لاحقًا بهذه الأطروحة.
٢٦. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة – عمر عبيد حسنة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الأول سنة ١٩٩١.
٢٧. المشاكل القومية والعرقية في باكستان – أبها دكسبت – مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – العدد (٩).
٢٨. مقال بعنوان «ماذا يمثل التيار الإسلامي الأصيل – أنور الجندي – مجلة لواء الإسلام عدد مايو ١٩٨٧.
٢٩. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله – محمد سرور بن نايف زين العابدين – دار الأرقم الكويت الطبعة (١) ١٩٨٤.
٣٠. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والحركات الإسلامية – عبد المنعم الحفني مكتبة مدبولي– القاهرة سنة ١٩٩٩.
٣١. موقع الجزيرة نت على الشبكة العنكبوتية – نشر بتاريخ ٢٠١٦/٣/٢٨ وشوهد ٢٠٢٠/٨/٢٤.
٣٢. موقع العرب على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٨ Alarb.co.uk
٣٣. موقع العين الإخبارية نقلًا عن وكالة أنباء رويترز al.ain.com
٣٤. موقع باكستان أليتيا ٢٠١٥/١٠ ar.aleteia.org
٣٥. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس – ماجد عرسان الكيلاني طبعة أولى سنة١٩٨٥ الدار السعودية للنشر والتوزيع.
٣٦. وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع – د . محمد أبو الفتح البيانوني – نشر جماعة الهدى الإسلامية – عمان – الأردن – طبعة (٤) سنة ١٩٩٤ .
٣٧. وكالة الأناضول التركية بتاريخ ٢٠٢٠/٢/٨ aa.com